

كلمات

بين مي زيادة وجبران

أحبّت مي زيادة (مواليد عام ١٨٨٦) التجديد في الصورة والنغم والخيال، وقد لمست هذه العناصر الثلاثة في كتابات جبران خليل جبران، فشغفت بها، وبدأت المراسلة بينهما في سنة ١٩١٢ وكانت أوّل ما تسلّمت من مؤلفاته كتاب «الأجنحة المتكسرة». وقد شكرت له هديته، وناقشته في الزواج الذي كان جبران يراه سلاسل ثقيلة حيكتها الأجيال. مناقشة لم تخلُ من الحدّة والثورة لكرامة بنات جنسها.

هناك من يزعم، ان عاطفة حب ثارت في قلبي مي وجبران، والحقيقة أن مبدأ أحبّت أدب جبران وفنه، ولم تحبّ شخصه كما يحبّ الحبيب رجلاً يريده رفيقاً لحياته. وفي رسالة مؤرخة في ٦ كانون الأول ١٩٢٠ قالت مي لجبران: «لما كنتُ أجلس للكتابة كنتُ أنسى من وأين أنت، فأكلمك كما أكلّم نفسي، وأحياناً كأنك رفيقة لي في المدرسة.. إنما كانت تطغو على تلك الحالة المعنوية عاطفة احترام خاص لا توجد بين رجل وفتاة».

وتقول له في الرسالة نفسها: «وهل كان لديّ وسيلة أخرى لأحوّلك عن هذ الموضوع، واذكرك أنّي وحيدة أبوي؟».

وتكتب له في موضع آخر من تلك الرسالة: «... ثم سطت عليك الكبرياء كبرياء الرجل، فنسيتُ أن السكوت لا يحسن بنا على هذه الصورة نحن اللذين تكاتبنا أبداً كصديقين مفكرين... نسيت أن الموضوع الآخر جاء عرضاً، وما دام انه لم يكن الأصل، فقد كان له أن يتلاشى، دون أن يؤثّر في علاقاتنا الأدبية الفكرية».



وعلى الرغم من رفض مي تزوّج جبران سنة ١٩٢٠، بقيت المراسلة بينهما مستمرة بضع سنوات، ومن ذلك رسالة مؤرّخة في كانون الثاني سنة ١٩٢٥ تخبره فيها بانها قصّت شعرها الأسود المتموّج الطويل...

يُقال ان مي تجلّت وسيمة جذّابة رائعة الذكاء رخيمة الصوت طلية الحديث، إذا نظرت إليك وهي تتكلم جذبتك إليها في رفق، ولقيت في قلبك الخلي فسحة ما. بيد ان حبّ مي ظلّ في أوج الكرامة والعفاف، وجعل عدداً من مشاهير المصريين يسعون إليها مساء كل يوم ثلاثاء ليُنعموا بمجالستها ليشنّفوا آذانهم بأحاديثها الممتعة، وبعزفها البديع على البيان وبما ينشره بعض الحاضرين من نكات طريفة لطيفة مستحبّة.

حفل منتدى مي زيادة بصفوة من رجال الفكر والصحافة ولم يكن جبران في صفوفهم، بل ان الأدبيين لم يلتقيا البتة. لم يعترف هو بحبه لها ولم يسعَ للقائها. والبُعد بينهما لم يكن جغرافيا وحسب وإنما أيضا بُعداً ثقافياً واجتماعياً.

فمي عاشت في مجتمع شرقي محافظ مقيّدة نساؤه، وجبران في مجتمع غربي متفتّح، متحرّرة نساؤه. وجد هو في مي رائحة الشرق والمفكرة الملهمة والفي في مراسلاتهما مفراً وسلواناً عن صخب المدينة واعبائها، فاوجد لنفسه عالماً ضبابياً يلتقيها فيه بعيداً عن الواقع الذي عاش فيه علاقات عاطفية مع حسناوات بلاد العم سام.

د. جهاد نعمان
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه